

عالم صوفي: تاريخ الفلسفة



عبدالكريم يحيى الزيباري

كالقراءة، بها وحدها نتجنّب اللف والدوران، لكن ماذا نقرأ؟ هناك مَنْ يقرأ تيراً، وهناك مَنْ يقرأ خشباً! (البرتو) ضابط برتبة رائد في القوة الدولية التابعة للأمم المتحدة في (لبنان)، يرأس ابنته ذات الأربعة عشر عاماً (هيلديه كجاج/ صوفي، بطلة رواية يكتبها الوالد) هذه القرينة في إطار رسائل ومقالات قصيرة عن تاريخ

كتب أستاذ الفلسفة (جوستاين غاردر) رواية عن تاريخ الفلسفة بعنوان (عالم صوفي)، الرواية للناشئة كمعظم الروايات الأكثر مبيعاً. (صوفي) كلمة لاتينية تعني الحكمة. فيلو صوفي، تعني حبّ الحكمة. مستهلاً روايته بجملة (غوته): "من لا يعرف دروس الثلاثة آلاف سنة الماضية، يعيش أبداً في العتمة" .. لا شيء يسهم في تكوين العقول

الفلسفة، تختلط بالواقع كحلم، "حلمت يوماً بأني فراشة، الآن لم أعد أعرف ما إذا كنت فراشة تحلم بأنها تشوانغ تسو، أم تشوانغ تسو الذي يحلم بأنه فراشة".

الرسائل حيلة سردية تقليدية، إطار مع نتف من حياة (صوفي) اليومية، مسألة اختلاط الحلم بالواقع جوهر الرومانتيكية التي تناولها في فص ٢٦: "يصرح نوفاليس: العالم يصبح حلماً، والحلم يصبح عالماً. وكتب رواية ظلت غير مكتملة باسم هنريش فان أوفرديكن ظلت غير مكتملة عندما مات نوفاليس ١٨٠١ عن الشاب هنريش الذي يمضي بحثاً عن الوردة الزرقاء التي نخها ذات يوم حلمه، وعبر الشاعر كولريج عن الفكرة ذاتها: ماذا إن نمت؟ وماذا إن حلمت في نومك؟ وماذا إن مضيت في حلمك إلى السماء، تقطف زهرة، فيها من الجمال بقدر ما فيها من الغرابة؟ وماذا إذا استيقظت فوجدت نفسك تمسك الزهرة بيدك؟ آه ماذا ستقول؟"١.

فص ٣٠ داروين (١٨٠٩ - ١٨٨٢) مكتشف التطور العضوي للطبيعة، اشترك بأكبر رحلة علمية دامت خمس سنوات على باخرة البحرية البريطانية بيغل ١٨٣١ - ١٨٣٦، وبعد ٢٣ سنة نشر كتابه الشهير (أصل الأنواع) "على أساس فرضيتين: كل النباتات والحيوانات الموجودة اليوم، نشأت عن أشكال أقدم منها... هذا التطور يتم بالاصطفاء الطبيعي... الأنواع القوية وحدها هي التي تبقى/ ص ٤١٠). وفي عام ١٨٧١ "نشر كتابه (نسل الإنسان والاصطفاء الجنسي الطبيعي) يعالج سلالة الحيوان، ويبين

وجوه الشبه الكبيرة بين البشر والحيوانات، ويخلص من ذلك أن البشر والقرود يجب أن ينحدروا من جد مشترك/ ص ٤١٨، وما الغريب في ذلك؟ الله يقول في كتابه: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَقْنَا لَهُمْ كُوفُوا قَرَدًا حَاسِنِينَ} البقرة: ٦٥. العنوان من باب المخالفة: (داروين ونظرية التدهور)، الإنسان في كل لحظة يخون نفسه، يتحول إلى قرد، ويتدهور البعض إلى درجة أسوأ من القرود، حين يسرق قوت الجوعى والمشردين في الخيام... من أجل مستقبل أبنائه!! وأي مستقبل ظل لأبناء قارون أو صدام أو هتلر أو ستالين أو شاه إيران أو قياصرة روسيا؟ و"الإنسان ينتسب شأنه شأن القرود إلى سلالة الرئيسات من ذوات الثدي، والثدييات تنتسب إلى الفقريات/ ص ٤٢٢".

من نحن؟ لماذا نعيش؟ سؤالاً الفلسفة، لماذا بقيا بلا إجابة؟

اختراع أسئلة جديدة، أهم من الإجابة على القديمة. الذكاء البشري ينطلق من الاعتراف بالجهل. لتصبح فيلسوفاً يجب أن تندش من صغائر الأمور وكبائرها، كدهشة نيوتن من سقوط تفاحة! بدأت الفلسفة يبحث أصل الكون.

رسالتان بلا توقيع: من أنت؟ من أين جاء العالم؟ الفكر البشري أجاب عن أسئلة مُحيرة من هذا النوع بابتكار (الأساطير). عنوان فص ٣، (توزان قلق بين الخير والشر) ٢ أجوبة الديانات القديمة تناقلتها الأجيال، وحوّلتها إلى أساطير، شكك بها فلاسفة الإغريق، ومن دون الأساطير الأكثر شهرة، يتناول (غاردر) - كنروييجي - أساطير الفايكنغ، وسرقة

مطرقة الإله ثور، مأساة تبادل رهائن، وأول نظرة نقدية للأسطورة وجهها كزینوفان (٥٧٠ ق.م) "الناس أنشأوا آلهة على صورهم/ص٣٧".

فص ٤ (فلاسفة الطبيعة) الإغريق لاهتمامهم بالطبيعة، واكتشافهم مادة جوهرية في أصل كل شيء، وأولهم (طاليس) (الماء أصل الكون) رفض الخرافات والأساطير، وتنبأ بكسوف الشمس الكامل الذي حدث في ٥٨٥/٥/٢٨ قبل الميلاد. (بارمنيدس) عاش ستين عاماً (٥٤٠ ق.م - ٤٨٠ ق.م) قال بثبات الوجود الحقيقي الكامن وراء ظاهر الأشياء، لأن الحواس تخوننا، ولا تخبرنا بالحقيقة، والعقل هو مصدر المعرفة الوحيد. ترك قصيدة (في الطبيعة) لا يولد شيء من لا شيء، وما ليس موجوداً لا يمكن أن يصبح موجوداً، ولا شيء يستطيع أن يتحوّل. معاصره (هيرقليطس)، الفيلسوف الباكي المتشائم، أحد أفراد العائلة المالكة في أفسس الآسيوية، قال بأن كل شيء يتحوّل، والكون في حالة سيولة متغيرة غير ثابت أبداً، وأنّ أحدنا لا يمكن أن ينزل النهر نفسه مرتين، لأنّ مياهاً جديدة ستجري من تحته، والنار أصل الكون. (أمبيدوقليس) جذور الطبيعة (التراب، الهواء، الماء، النار/ص٤٨). (أناكساغوراس) أول فيلسوف في أثينا "جزئيات صغيرة تملك شيئاً من كل شيء.. الشمس ليست ياله، إنما قطعة حجر/ص٥٠"، أو (كرة من النار/ص٧٣)، اتهموه بالكفر، وطردوه من أثينا.

فص ٥: ديموقريطس نظرية الآتوم/ الذرة، كل شيء مكون من عناصر صغيرة جداً غير قابلة للانقسام.

فص ٧: سقراط يوحى بأنه يريد أن يتعلم من الشخص الذي يحاوره، "الإنسان الذي يفعل الخير، هو وحده الإنسان الخيّر... ملكة التمييز بين الخير والشر في عقل الإنسان، لا في المجتمع/ص٨٠". فيلسوف روما (شيشرون) يقول: "سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، وجعلها تعيش في المدن، وتدخل البيوت، وترغم الناس على التفكير/ص٧٨". كان (سقراط) الطفل الذي رأى الإمبراطور عارياً، وصرخ: لكنّه عار تماماً، بينما كل الناس يتشدقون بثيابه السحرية العجيبة، التي لا يراها إلا الأذكىاء! فص ٩ أفلاطون: الحق، الخير، الجمال. كتب ٢٥ محاورات على لسان (سقراط)، وله أمثلة شهيرة كأسطورة الكهف في الباب السابع من كتاب (الجمهورية)، ليبرهن "التضاد بين عتمة الكهف في الداخل والطبيعة في الخارج، كالعنمة القائمة بين العالم الحسي وعالم الأفكار/ص٩٩". التمهيد لأرسطو "ماذا ينبغي أن يفعل الإنسان كي يعيش سعيداً/ص١٠٧".

فص ١١ أرسطو: استخدم حواسه لكشف التشابهات والاختلافات والأنواع والأجناس، ولم يكتف بعقله كعالمه أفلاطون، كتب (١٧٠) كتاباً، لم يبق منها غير ٤٧، إنّ شكل شيء ما، هو مجموع خصائصه النوعية/ص١١٦". "السبب الغائي: لكل شيء في الطبيعة نفعه، السماء تمطر لينمو النبات/ص١١٨". "ويعلن أرسطو في بعض المقاطع،

وفسره الأبيقوريون فلاسفة البستان: "اللذة هي الخير الأعلى/ ص ١٣٩". يقول (أبيقور): "الموت أمرٌ لا يعيننا، ذلك إننا ما دمنا أحياء فالموت ليس معنا، وعندما يأتي الموت لن نكون موجودين/ ص ١٤٠". أفلاطون (٢٠٥-٢٧٠ م)، مؤسس الأفلاطونية الجديدة: "العالم من قطبين: النور الإلهي الكامل، ومن الجهة الأخرى: الظلام الكامل. ليس لهذا الظلام وجود، لأنه فقط غياب النور، الشيء الوحيد الذي يوجد هو الله/ ص ١٤١"، نتجت عنها الصوفية المسيحية: "عندما كنتُ لم يكن الله، عندما أشعر بوجودي يكون الله غائباً عن بالي/ ص ١٤٢". "على الإنسان أن يعيش زاهداً، منفصلاً عن العالم، من أجل خلاص نفسه/ ص ١٥٨". الساميون اليهود يعتمدون السمع بدلاً من البصيرة، تبدأ صلواتهم "هكذا يقول الإله/ ص ١٦٠"، يحرمون الصور والتماثيل. العبريون، يرون ارتكاز التوراة على عصيان الناس لأوامر الله. (بولص) ذهب إلى (أثينا)، وخطبَ فيهم: "أيها الأثينيون تجولت في مدينتكم، وفي مذابح أحد المعابد، هذه الجملة منقوشة على الحجر: يا إلهنا اللامعروف. إنَّ ما تعبدونه ولا تعرفونه آتي أنا لأبشركم به/ ص ١٦٥". وقدَّ الحلف المزعوم من اليهود بين الله وموسى، إلى حلف جديد أقامه عيسى "بين الله والناس جميعاً/ ص ١٦٧". بعد خمسة قرون أغلقت الكنيسة أكاديمية أفلاطون. "٥٢٩م قام نظام رهباني، ووضعت الكنيسة يدها على الفلسفة الإغريقية، وقامت دور الرهينة بالاستيلاء على التعليم والتفكير

أنَّه يجب أن يوجد إله، هو الذي وضع الحركة في هذا العالم/ ص ١٢٢". الأخلاق: "ويؤكد ثلاثة شروط ليعيش الإنسان سعيداً: المتعة والحرية والعلم/ ص ١٢٢". السياسة: "كيف ننظّم الدولة؟ الشكل الملكي، يجب أن لا يتردّى في الاستبداد، أي جعل واحد من الناس يتحكّم في كلّ شيء من أجل خيره الشخصي ومنافعه الذاتية. الأرستقراطي: السلطة في يد عدد قليل أو كثير من القادة، يجب أن لا يصبح لعبة بيد بعض رجال السلطة. الشكل الديمقراطي، قد ينقلب بسرعة إلى صورة الحكم الجماعي (الغوغائي)/ ص ١٢٣". (أرسطو) أستاذ (الاسكندر المقدوني)، رافقه في حروبه حتى (مصر)، ثم عاد أدراجه وهو يرى تلميذه يخرج عن العقل والسيطرة.. بغزوات (الاسكندر) بدأت حقبة فص ١٢: الهيلينية، ودامت ثلاثة قرون، وجدَّ الفكر الإغريقي "أرضاً ممتازة وراء المستعمرات الإغريقية القديمة... لدينا تعليم يهدف إلى إنقاذ الناس من الموت/ ص ١٣٥" من الفقر والجهل والمرض، ولا يختلف كثيراً عن الهدف الأمريكي والبريطاني من قبله!! وهذا الانفتاح الثقافي الهيلينستي على الأديان مهَّد لظهور المسيح عليه السلام. حين وقفَ (سقراط) أمام دكان كبير، يعرض مختلف البضائع، هتفَ قائلاً: ما أكثر الأشياء التي لا أحتاجُ إليها!!/ ص ١٣٧. الفيلسوف الرواقي والخطيب والكاتب المسرحي (سينيكا) ٦٥م "الإنسان شيءٌ مقدّس/ ص ١٣٨". سؤال سقراط: كيف يستطيع الإنسان أن يعيش سعيداً؟ فسره الكليون: "على الإنسان أن يتحرّر من كلِّ رفاهية مادية/ ص ١٣٨"،

في كوميدته (كما يجلو لك) يقول: "العالم كله مسرح، الرجال والنساء جميعاً ليسوا إلا ممثلين... وفي مسرحية (ماكبث): "الحياة قصة متخمة بالصخب والعنف، يرويه أبه، ليس لها معنى... إننا النسيج الذي تُصنع منه الأحلام، وحياتنا الصغيرة محفوفة بالنوم/ ص ٢٣١". وكتب الشاعر الإسباني (كالديرون دو لباركا) مسرحية (الحياة حلم).

فص ١٨ ديكارت: "منظومة فلسفية تعيد النظر في كل شيء بدءاً بالصفير/ ص ٢٣٦". "ديكارت لا يقول إنه من الخير أن نشك في كل شيء، ولكن من حيث المبدأ أن نشك في كل شيء/ ص ٢٣٨". (ديكارت) يستحق وقفة أطول، واهتماماً أكبر، بدأ عهداً جديداً للفلسفة، تمرّد على المنطق الأرسطي الذي ساد عشرة قرون.. يلاحظ (ديكارت) ساخراً: "الفلسفة تعلّمنا أن نتحدث بادّعاء الحقيقة عن كل شيء، وتجعلنا نعجب بأدنى المتعلّمين... لا يوجد شيء واحد في الفلسفة لا يكون موضوعاً للجدال، وبالتالي بمنأى عن الشك" ٣.

فص ١٩ (سينوزا): النقد التاريخي للثورة: "كان المسيح يدعو إلى ديانة عقلانية تعتبر الحب في مقام الخير المطلق، لا كمجرد حبّ لله فقط، بل هو حبّ جارنا أيضاً/ ص ٢٤٧"، "الله هو السبب الخائب لكل ما يحدث، إنه ليس سبباً خارجياً، ذلك أنّ الله لا يتظاهر إلا عن طريق القوانين الطبيعية/ ص ٢٥١"، "يفهم سينوزا أنّ جملة من أهواء النفس مثل الغرور، الرغبة، الطمع، الشّر، الغضب، تمنعنا من الوصول إلى السعادة والانسجام/

والتفسير/ ص ١٧٥"، وغرقت أوروبا في ليلة مظلمة استمرت ألف عام!
"الأفلاطونية الحديثة نقلت إلى الغرب، وأفلاطون وأرسطو نُقلا إلى العرب/ ص ١٧٨".

أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠ م) نصّر أفلاطون، توما الأكويني (١٢٢٥-١٢٧٤) نصّر أرسطو، بالتأويل والتوفيق بين فلسفتيهما والمسيحية، بتنفيذ التناقضات.

فص ١٦ النهضة. "ولادة ثانية/ ص ٢٠٠"، "الإنسان لا يصبح إنساناً إلا بالتربية/ ص ٢٠١"، "جوردانو برونو ادّعى أنّ الله كلية الواقع، والكون لا نهاية له... أحرق في ساحة الأزهار في روما عام ١٦٠٠... كان في عهد النهضة حركة مناهضة للنهضة، أعني كل سلطة للكنيسة والدولة/ ص ٢٠٤". فرانسيس بيكون ١٥٦١-١٦٢٦ "المعرفة هي المقدرة/ ص ٢٠٦"، بدأ الإنسان يتسيّد على الطبيعة، وانطلقت التقنية آلات الزراعة والنسج والصناعة. (نيوتن) فسّر حركة الكواكب وفق ديناميكية وضعها (غاليلو)، الذي سخّر من اعتقاد (كبلر) تأثير القمر في حركة المياه مدّاً وجزراً. زالت علاقة الفرد بالكنيسة كمنظمة وسيطة بين الأرض والسماء، لتبدأ علاقة كلّ فرد مع الله. (مارتن لوتر) (١٤٨٣-١٥٤٦ م) تعلّم اللاتينية وهو "في الخامسة والثلاثين ترجم التوراة إلى الألمانية/ ص ٢١٥".

فص ١٧ (الباروك) "اقطف النهار... تذكر أنّك ستموت يوماً... الباروك يتميز بالادّعاء والغرور.. الجمال المحيط بنا كلّه محكوم بالفناء/ ص ٢٢٩". كتب (شكسبير)

"تبعاً لأرسطو، ما من شيء يمكن أن يوجد في الشعور، ما لم يكن قد أدرك بحواسنا. تبعاً لأفلاطون، ما من شيء في الطبيعة إلا ما كان قد وُجد أولاً في عالم الأفكار أو المُثل. رأى أرسطو أنّ أفلاطون لم يزد على أن يضاعف عدد الأشياء/ ص ٢٩٧".

"أولامب دوغرج بعد سنتين من الثورة الفرنسية عام ١٧٩١ نشرت إعلاناً عن حقوق النساء، لأنهن لم يحصلن على شيء في إعلان حقوق الإنسان... أعدمت بالمقصلة عام ١٧٩٣، وحرّم منذ ذلك الحين كلّ نشاط سياسي على النساء/ ص ٣١٩".

فصص ٢٥ كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) العقلانيون: العقل أساس كلّ معرفة. التجريبيون: الحواس وحدها تسمح لنا بمعرفة العالم.

كانط: "تجربة الحواس تظلّ الأصل في كلّ معرفة... لكن عقلنا وحده الذي يملك الشروط المطلوبة لمعرفة كيف ندرك العالم/ ص ٣٢٦". "يجد كانط أنّه ليس في قدرة العقل حسم النقاش... كان بروتستانتياً، الكاثوليكية كانت تدافع عن نفسها بحجج عقلية... يطرح هذه المسائل لحساب الإيمان، من الضروري للأخلاق الافتراض أنّ للإنسان نفساً خالدة/ ص ٣٣١"، "كانط يوضح أنّ الإيمان هو الذي قاد خطاه إلى هذه النتائج، وليس العقل. الإيمان بوجود نفس خالدة، وبوجود الله، وحرية الاختيار، كلّ هذه مواضيع عملية.. لها صلة بممارسات الإنسان، أي: أخلاقه/ ص ٣٣٢"، "كانط أخرج الفلسفة من مأزق الخصومات بين العقلانيين والتجريبيين/ ص ٣٣٧". كتب (كانط) على

ص ٢٥٣، "رؤية كلّ شيء من زاوية الخلود/ ص ٢٥٤".

فصص ٢٠ لوك: "نكتشف في كتل الطين الكثيرة بعض ذرات الذهب/ ص ٢٦٢". (جون لوك) نشر كتابه (بحث في العقل الإنساني) ١٦٩٠ بهدف إيضاح أمرين: "أصل الأفكار والتصورات التي نجدتها عند الإنسان، مشكلة الاطمئنان إلى الحواس/ ص ٢٦٢.. رؤية تركيبية للتفاحة، "مذاق التفاحة ليس في التفاحة وحدها، ولا في فمي، لكنه في نقطة الالتقاء بينهما".

فصص ٢٠ هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦): كان عمره ٢٨ سنة حين نشر كتابه (بحث في الطبيعة الإنسانية)، "بوذا يعتبر أنّ حياة الإنسان تشبه تتابعاً لا ينقطع من الدورات النفسية والفيزيائية، التي تتغير الكائن الحي في كلّ لحظة/ ص ٢٧٢". "عندما كان هيوم على فراش الموت، زاره صديق يريد أن يسأله عمّا إذا كان يعتقد بوجود حياة بعد الموت، ويُقال إنّ هيوم أجابه: إنّ قطعة من الفحم يُلقى بها إلى النار، يمكنها ألا تحترق. وكان لا يعترف بشيء أو بصحة شيء إلا إذا رأته حواسه، أو كان يترك المجال مفتوحاً لكلّ الفرضيات" (جوستاين غاردر، عالم صوفي، ترجمة حافظ الجمالي، دار طلاس، دمشق، ط ٤، ٢٠٠٩، ص ٢٧٣).

فصص ٢١ جورج بيركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣): "أفكارنا تعود إلى سبب خارجي، من طبيعة روحية لا مادية... نستطيع أن نؤكد أنّ وجود الله يُدرك بوضوح أكبر من وجود البشر/ ص ٢٨٣". "ينفي وجود عالم مادي خارج الشعور الإنساني/ ص ٢٩٦"،

الكون في داخله/ ص٣٦٧". ولا أظنُّ (نوفاليس) قرأ، لكن (الحويك) بالتأكيد قد قرأت، وتأثرت بالشعر المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام:

دواؤك منك وما تبصر

وداؤك فيك وما تشعر

وترغم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

"يستطيع الكاتب أن يقول لقارئ إنَّ وجوده هو رائع، وقد وصف هذا النوع من قطع الوهم بالسخرية الرومانسية، فترى عند المسرحي هنريك أبسن في مسرحية (بيرجنت)، عبارة: ما من أحدٍ يموت في منتصف الفصل الخامس/ ص٣٧٠".

فص ٢٧ هيغل (١٧٧٠ - ١٨٣١): "كل ما هو معقول يمتلك إمكانية الحياة/ ص٣٧٧". "لا يعتقد بوجود حقيقة فوق العقل البشري، كل معرفة هي معرفة إنسانية... مصطلح الفلسفة عند هيغل يعني منهجاً لفهم حركة التاريخ/ ص٣٧٩". "تاريخ الفكر أشبه بمجرى النهر... العقل شيء ديناميكي أي مشروع أو سيرورة، والحقيقة هذا السيرورة بعينها/ ص٣٨٠". "فكر العالم سينمو ليصل إلى وعي أكبر فأكبر، تماماً كما تصبح الأنهار أوسع مجرى كلما اقتربت من المحيط/ ص٣٨١".

وصف (هيغل) مراحل المعرفة الثلاث: "الطريخة، النقيضة، الجمعية، هكذا يمكن القول إنَّ عقلانية (ديكارت) في طريخة قابلتها كنقيضة تجريبية (هيوم)، لكن هذا التناقض، إذ يعطي هذا الأخير بعض الحق للعقلانيين، وبعضه للتجريبيين في نقاط محددة، كما يظهر

قبره أشهر وصاياه "شيطان لا ينقطعان عن ملء قلبي إعجاباً واحتراماً: السماء ذات النجوم من فوق، والقانون الأخلاقي في صدري/ ص٣٣٧". "يرى كانط أنَّ القانون الأخلاقي كوني ومطلق، كقانون السببية، لذا يعجز العقل البشري عن برهنته، وهذا لا يعني إمكانية تجاوزه أو إنكاره" (عالم صوفي- ترجمة الحويك- ص٣٥٠). و"عندما يصف كانط القانون الأخلاقي، فإنَّه يصف ضمير الإنسان، نحن لا نستطيع البرهان على ما يقوله لنا ضميرنا، ولكننا نعرفه معرفة جيدة/ ص٣٣٥".

فص ٢٦ الرومانسية "بدأت في أواخر القرن الثامن عشر، واستمرت حتى منتصف التاسع عشر... كثير منهم يعتبرون أنفسهم ورثة كانط، الذي أوضح أنَّ حدوداً لما يمكن للعقل أن يعرفه عن الشيء بذاته... كل شخص يستطيع أن يعيد تحديد علاقته بالعالم، ويعطي تفسيره الخاص للواقع والحقيقي، الرومانسيون بالغوا في ممارسة عبادة الأنا، مما أدى إلى فكرة العبقرية الفنية كجوهر للروح الرومانسي" (عالم صوفي- ترجمة الحويك- ص٣٦٢)، و"صورة الحب المستحيل عند غوته في روايته (آلام فارتير) ١٧٧٤ تنتهي بانتحار فارتير... جرَّت هذه الرواية سلسلة من حوادث الانتحار، إلى درجة جعلتها تُمنع في النرويج والسويد" (عالم صوفي- ترجمة الحويك- ص٣٦٦).

"قيل إنَّ الطبيعة ليست إلا أنا كبيرة"/ عالم صوفي- ترجمة الحويك- ص٣٦٦).

"كتب نوفاليس إنَّ الطريق الخفي يمضي نحو الداخل. ويقصد بذلك أنَّ الإنسان يحمل

راهب يرى أن (بوذا) لا يعطي أي جواب عن أسئلة هامة جداً، مثل طبيعة العالم والإنسان. أجابه (بوذا) بأن أشار إلى رجل مصاب بسهم مسموم، هل يسأل الرجل ممّ مصنوع هذا السهم؟ ما هو نوع السهم؟ من أية زاوية أطلق السهم؟ ما يريده هو أن نسحب سهمه ونداوي جرحه. أي الحقائق المهمة فعلاً هي شخصية ذاتية/ ص ٣٩٨."

فص ٢٩ ماركس: عام ١٨٤١ بعد أربع سنوات أنجز أطروحة الدكتوراه عن الاختلاف بين الفيلسوفين ديموقريطس وإبيقور، ولاحظ "أنّ الفلاسفة يكتبون بتفسير العالم، على حين أنّ القضية هي تغيير هذا العالم" (عالم صوفي - ترجمة حافظ الجمالي - ص ٣٩٤). "و"لم يكن فيلسوفاً فقط، بل مؤرخاً وعالم اقتصاد وعالم اجتماع... قام بتطبيق الفلسفة على السياسة/ ص ٣٩٤.."

حاول (ماركس) أن يفلسف السياسة، خلاصاً من علمنة الفلسفة التي وقعت فيها الانتهازية اليمينية الرأسمالية، فوقع في الانتهازية اليسارية الذاتية، التي غرقت فيها أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي، والتي لم تتعاف إلى يومنا هذا!

"كان هيغل قد أوضح أنّ التطور التاريخي ينشأ عن: روح العصر، العقل العالمي، الفكر العالمي، التوتر القائم بين عناصر متناقضة. هذا الهيغل العجوز الطيب - بحسب ماركس - يضع الرأس مكان القدمين... الشروط المادية تحدّد وتعيّن شروطاً روحية جديدة/ ص ٣٩٥."

"عام ١٨٤٨ نشر مع فردريك أنجلز بيان الحزب الشيوعي المشهور، جاء في مقدمته: إنّ

أخطاء الاثنين في نقاط أخرى، لكن التاريخ لا يتوقف عند (كانط)، فلسفته بدورها نقطة انطلاق لسلسلة جديدة تتألف بدورها من العناصر الثلاثة ذاتها، التي يصفها (هيغل) بالثالوث حيث تصبح كل جمعة بدورها طريحة تستدعي نقيضة جديدة، وهلمّ جرّاً/ ص ٣٨٣."

"لا توجد ضمانات، عندما نحاول اتخاذ موقف المصيب، التاريخ هو الذي يثبت في النهاية مَنْ كان على خطأ، ومَنْ كان على صواب، الصواب وحده يبقى قادراً على الحياة/ ص ٣٨٤."

ويرفض (هيغل) المساواة بين الرجل والمرأة: "إذا أصبحت النساء على رأس السلطة، تصبح الدولة في خطر، لأنهن لا يتصرفن وفق المبادئ الكونية، وإنما بحسب الميول والآراء الممكنة. ويتكوّن تشكّل المرأة عن طريق التشبّع بالجو الذي تنشره التصوّرات القائمة، أي بفعل ظروف الحياة، أكثر منه بفعل اكتساب المعارف. أمّا الرجل، فإنّه على العكس لا يستطيع فرض نفسه إلا بتحصيل الفكر، وبمجهودات أخرى عديدة ذات طابع تقني/ ص ٣٨٥."

"روح العالم يرتدّ على نفسه ثلاث مرّات: يعي روح العالم نفسه في الفرد، العقل الذاتي. ثم الدرجة الثانية: الأسرة والدولة، العقل الموضوعي، لأنه يتجلى من خلال تواصل الناس فيما بينهم. ثم الدرجة الثالثة: الوعي المطلق، الدين، الفن، الفلسفة/ ص ٣٨٩."

فص ٢٨ كيركيغارد: "الحقائق الفلسفية التي تنادي بها الهيغلية، لا يمكن أن تطبّق على الوجود الفردي/ ص ٣٩٧." "كان هناك

شبحاً ما يطوف في أوروبا، هو شبح الشيوعية/ ص ٣٩٩".
مجرد استعراض للسلطة التي يمارسها على عالم صوفي؟ / ص ٤٨٥ □

الهوامش:

- ١ جوستاين غاردر، عالم صوفي، ترجمة: حافظ الجمالي، دار طلاس، دمشق، ط ٤، ٢٠٠٩، ص ٣٤٨.
- ٢ جوستاين غاردر، عالم صوفي، ترجمة: حافظ الجمالي، دار طلاس، دمشق، ط ٤، ٢٠٠٩، ص ٣٣.
- ٣ فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة ج ٤ من ديكارت إلى لينتن، ترجمة: سعيد توفيق ومحمود سيد أحمد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٩٨.

فص ٣١ فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩):
مكتشف الحياة الغريزية للبشر "القضية تتعلق بصراع بين رغبات الرجل ودوافعه، وبين مقتضيات العالم المحيط به/ ص ٤٣١". ويسرد حكاية السلحفاة الخبيثة والراقصة ذات الأربع وأربعين قدماً، و"هذا ما يحدث عندما يلجم الخيال بالتفكير والعقل/ ص ٤٤٢".

فص ٣٢ العهد الحاضر: جملة (كير كيجارد): "إحدى المميزات الأكثر دلالة على الجمهور، هي هذا الكلام الفارغ/ ص ٤٥٤". جملة سارتر: "الوجود يسبق الجوهر/ ص ٤٥٦". .. (سارتر) ينكر أن يكون "للإنسان طبيعة فطرية، يخلق نفسه، يخلق طبيعته، لأنه ليس مُعطى من البداية، الإنسان يكون نفسه بجهد وعلمه وقيمه، لا بما رأى نفسه فيه منذ البداية/ ص ٤٥٦". "إن شعور الإنسان بأنه غريب عن الأرض، ينشئ مشاعر من اليأس والضجر والقرف والسخف/ ص ٤٥٧". "ولئن كان سارتر يزعم أنه ليس للوجود معنى، فهذا لا يعني أنه سعيد، ولا يمكن أن نسميه عديمي... يحسب سارتر أنه يجب أن يكون للحياة معنى، وهذا أمرٌ أمر، ولكن علينا نحن أن نهب حياتنا معنى... وجودنا / ص ٤٥٨".

فص ٣٣ الاستقبال في الهواء الطلق:
خطاب يلخص كل ما مضى: "أنصح كل الشبان بقراءة كتاب عن تاريخ الفلسفة، وهكذا يمكنكم أن تتخذوا موقفاً نقدياً جدياً تجاه العالم الذي نعيش فيه/ ص ٤٨١". "ولم كتب أبوها هذا الفصل الأخير؟ أيكون ذلك